الراوي والحلقة والتغير الثقافي بساحة جامع الفنا دراسة ميدانية بمدينة مراكش المغربية

محمد شحاته علي عثمان(*)

ملخص البحث

تقع ساحة جامع الفنا بمدينة مراكش المغربية، وتعد مصدر إشعاع للتراث الثقافي الشفاهي الذي توارثه المغاربة، وقد صنفت ساحة جامع الفنا تراثًا شفهيًا من قبل منظمة اليونسكو التي اعتبرتها موروثًا من تراث الإنسانية الشفهي اللامادي عام ٢٠٠١، وقد اشتهرت الساحة بحلقات الحكي الشعبي التي يقدمها أشهر رواة الحكاية في المغرب، وحتى فترة السبعينات من القرن الماضي كانت الساحة تزخر بالعديد من حلقات الحكي التي يقبل عليها الآلاف من أهل المغرب ومن السياح أيضًا، وبعد ذلك بدأت الحلقات تقل شيئا فشيئا، وبدأ الجمهور ينصرف لحلقات أخرى ومن أشهرها حلقات التمثيل الساخر والغناء والموسيقى والرقص والأكروبات، مما أدى لاختفاء رواة الحكاية من الساحة بشكل نهائي، ويرجع السبب في ذلك إلى إهمال الدولة للحكواتية، ولوجود ضوضاء في الساحة، وعدم وجود دعم مادي للرواة من قبل المؤسسات الرسمية.

(*) باحث دكتوراه أنثروبولوجيا ، كلية الدرسات الإفريقية العليا ، جامعة القاهرة.

Abstract.

Jemaa El Fna Square is located in the Moroccan city of Marrakesh, and is a source of radiation for the oral cultural heritage inherited by Moroccans. The Jamaâ El Fna Square was classified as an oral heritage by UNESCO, which considered it an intangible oral heritage of humanity in 2001. The square was famous for its folklore episodes presented by the most famous narrators of the story in Morocco, and until the seventies of the last century, the square was full of many storytelling episodes that were accepted by thousands of Moroccans and tourists as well, and after that the episodes began to decrease little by little,, and the audience began to turn to other episodes, the most famous of which are the episodes of satirical acting, singing, music, dancing and acrobatics, which led to the disappearance of the storytellers from the scene permanently, and the reason for this is due to the state's neglect of the storyteller, and the presence of noise in the arena, and the lack of support Material for narrators by official institutions.

مقدمة:

ساحة جامع الفنا كانت تزخر قديمًا في فترات الإزدهار وخاصة قبل عام ١٩٧٠م، بتعدد حلقاتها ورجالاتها وأعلامها في التراث الشفاهي، إلى أن أصابها الركود في السبعينات، فكان الحلايقي يؤدي فنه بعفوية وتلقائية، تعد تشكيلاً جماليًا للثقافة الشفاهية التي تقدم إلى جمهور عريض من رواد الساحة، ومن المولعين بها، والمغرمين بإبداعات الحلايقية. وفي مدينة مراكش مثل شهير يقول: "**أن موت حكواتي يعادل حريق مكتبة**"، فالحكايات تراث شفاهي في عقول الحكواتية، وبموتهم تنتهي الحكايات في قبورهم. وقد رحل الكثير من الحكواتية والبعض تقاعد بلا معاش أو مورد مادي، لدرجة أن أحدهم كان يمسح الأحذية، والجمهور الذي كان ينصت إليهم إنصرف للتليفزيون.

فالثقافة الشفاهية وأصولها وجذورها، تعد هى الجامعة الشعبية لأولئك الذين تصدروا الحلقة الشعبية، وجمعوا في أدبياتهم بين الترفيه والتثقيف، فتلقى هؤلاء أدبياتهم من دروس بالمساجد، وبزوايا المتصوفة، ومن الجلسات التي كانت تقام بأحياء مراكش الشعبية، حتى أثرت أدبيات ساحة جامع الفنا في أدبيات جماعة الرحل، الذين كانوا لا يستقرون بالساحة، إنما يتجولون في ربوع المغرب وساحاتها العمومية مثل ساحة سيدي عبدالوهاب بوجدة، وساحة بوجلود بفاس، وساحة سيدي بوالذهب بأسفي، وساحة السور بمدينة تارودانت، والتي كانت تنافس ساحة جامع الفنا قديمًا.**(الملحوني، ٢٠١٥: ١٦٣-١٦٥)** ويذكر الإخباريون أن الساحة قديمًا وإلى سنوات قريبة، كانت عامرة بالحكواتية وحلقاتهم التي لا تتوقف ليل نهار، وفي السنوات القريبة الماضية وحتى عام ٢٠٠٠م، بدأت حلقات الحكي تتراجع وتقتصر على فترة الصباح فقط، وبعد ذلك اختفت الحلقات من الساحة تمامًا في عام ٢٠٠٥م.

وحلقات الحكي في جامع الفنا، ذكرت في كتاب المحاضرات للحسن اليوسي، وذكر أنه دخل مراكش في عام ألف وستين ميلادية، أثناء جولاته لطلب العلم وكان صغير السن، فخرج إلى الساحة فرأى رجل كبير السن وحوله حلقة من الناس لا يعرف عددها، وكان يحكي حكايات مضحكة للناس من حوله، وذكر اليوسي أن الرجل كان يحكي نادرة عن رجل من مراكش وآخر من البربر وآخر من العرب ورجل دراوي، وأن الجميع اجتمعوا في مكان واحد وطلب أحدهم أن يذكر كل واحد ما يشتهيه من الطعام، فذكر كل واحد منهم الطعام الذي يحبه بلغة موطنه، غير

أن كل واحد رفض أن يأكل طعام صاحبه لما علم وصفه، ويذكر اليوسي أن الرجل حكى نادرة عن الاسكندر الأكبر مع جارية ملك الهند، وأن ملك الهند أراد أن يهلك الاسكندر فأرسل له جارية جميلة مسمومة كان قد عودها على السم حتى اعتادت عليه دون أن يضر جسدها، وكان غرضه أن يجامعها الاسكندر ويموت.**(اليوسي، ١٩٨٢: ٢٠٢)**

الإطار النظري

إشكالية البحث:

يعد رواة الحكايات الشعبية، هم حلقة الوصل بين التراث الشفاهي وخاصة الحكايات والسير الشعبية والجماهير، فبدون الرواة لن تصل الحكاية لقاعدة عريضة من الجماهير، وسيقتصر عرضها على المتخصصين في مجال التراث الشعبي. وإضافة إلى دور الرواة في نقل الحكاية والحفاظ عليها، فإن الرواة يقومون بدور تنويري لأفراد الجماعة الشعبية، ويعالجون بعض السلبيات المنتشرة في المجتمع من خلال النصح والإرشاد الموجود بالحكايات لأفراد الجماعة الشعبية، ويقوم بدور سياسي في مناهضة الاحتلال والدفاع عن وحدة الوطن وسلامته، كما أن الراواة في المغرب تم دمجهم في برامج التربية والتعليم في مدارس المملكة، لتوعية التلاميذ بتراثهم وتاريخهم، كما أن وجود الرواة ارتبط بالساحات الشهيرة بمجتمع البحث والتي تلقى رواج سياحي نتيجة لتلك الحلقات التي تقام بها، كما أن الراوي أو الحكواتي يعد مهنة في مجتمع البحث، وهذه المهنة تتأثر كغيرها من المهن بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي يمر بها المجتمع، وكان من المهم دراسة الرواة والحلقات للتعرف على أثر التغير الثقافي على الرواة في ساحة جامع الفنا، وهل أثر التغير على الرواة سواء بالسلب أو الإيجاب أم لا ؟ وهل لا يزال الرواة يمارسون مهنة الحكي أم هناك تغيرات حدثت أثرت على تلك المهنة؟ وما قيمة الراوة ووظيفتهم في مجتمعاتهم ونظرة الجماعة الشعبية إليهم؟ وأدوارهم وأوضاعهم بعد هذا التغير.

أهمية البحث:

١- دراسة التغير الثقافى كموضوع هام من موضوعات الأنثروبولوجيا، ومحاولة التعرف على عوامل التغيُّر التي تعرض لها رواة الحكاية الشعبية بساحة جامع الفنا بمراكش، لأن دراسة الثقافة الخاصة بالأفراد تساعد على فهم سلوك أفراد المجتمع.

٢- دراسة أثر التغير الثقافي على رواة الحكاية الشعبية، يؤدي للتعرف عن قرب على ثقافة هذا المجتمع قديماً والتغيرات التي طالت تلك الثقافة وأسبابها.

٣- دراسة الرواة تساعد على رصد حركة التغيُّر سواء على مستوى الراوي أو الحلقة أو الساحة، وما يلازم ذلك من تغيُّر في وظيفة الحكي عبر الأجيال.

٤- وتبدو الأهمية العملية والتطبيقية للدراسة من الأهمية التى توليها المجتمعات لموضوع رواة الحكاية الشعبية بشكل عام والتغيُّرات التى طرأت عليهم، وللمشكلات والتحديات التى تواجه الراوة فى المجتمع نتيجة لبعض التغيُّرات الثقافية التى تظهر فى شكل تحولات اقتصادية واجتماعية وتكنولوجية، وعليه ظهرت بعض المشكلات مثل اختفاء الرواة والنتائج السلبية لها. ودراسة الراوة في ساحة جامع الفنا، يتيح للباحث الفرصة للوصول إلى نتائج وتحليلات هامة، لشهرة تلك الساحة في عقد حلقات الحكي. وبالتالي فإنَّ النتائج التي من المتوقع أن يتم الحصول عليها إضافة لبعض التفسيرات قد تكون ذات أهمية تطبيقية كبيرة، من خلال المساعدة في تفسير وفهم الأسباب التي أدت لتلك النتائج.

أهداف البحث:

(١) الهدف الرئيسي:

التعرف على أثر التغير الثقافي على رواة الحكاية الشعبية في ساحة جامع الفنا.

وتوجد مجموعة من الأهداف الفرعية التي تنبثق من الهدف الرئيسي ومنها:

(٢) الأهداف الفرعية:

- التعرف على أنواع وسمات الرواة في الساحة.
- التعرف على دور الرواة في تشكيل هوية المتلقي.
- التعرف على أثر التغير الثقافي على الرواة وأوضاعهم الحالية.
- التعرف على العلاقة بين الجمهور والراوي وأدوار الرواة في المجتمع.
- التعرف على الجهود المبذولة للحفاظ على الرواة والحكي الشعبي.

مفاهيم الدراسة:

(أ): التغير الثقافى:

التغير الثقافي: هو تحول يتناول تغيرات تحدث في فرع من فروع الثقافة، كما يشمل قوانين وصور صور التغير الاجتماعي، وكذلك التغيرات التي تحدث في قواعد وأشكال النظام الاجتماعي. **(Herskovits,m,1969: 255)** ويتميز التغير الثقافي بأنه تحول شامل قد يتناول طبيعة الثقافة. ويعرف التغير الثقافي أيضًا بأنه عملية تحليل وتفكيك يتولد عنها كثير من العلل والانتكاسات، ويقوم على حركة سريعة ومفاجئة، وينجم عن الاتصال الخارجي بالثقافات الأخرى.**(استيتة، ٢٠٠٨: ٧٥)** ويعبر التغير الثقافي عن تغير يحدث في مكونات الثقافة، أي في بنائها أو في عناصرها ومضمونها حسب تعريف (هولتكرانس).**(رشوان، ١٩٨٢: ٤٢)**

(ب): الراوي الشعبي:

الراوي أو الراوية في معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، هو شخص يقوم بالتعليق السردي في العرض المسرحي، ويوجه التعليق للجمهور، وقد يؤدي الراوي إلى جانب التعليق دورًا تمثيليًا وقد لا يؤدي.**(الأعصر، ٢٠٠٢: ٨٦)** وقد يطلق على الراوي حكواتي، وهو الشخص الذي يحفظ الحكايات عن ظهر قلب ويلقيها على المتلقي.**(أبوسعد، ١٩٨٧: ١٨٧)** ويشير **(شوب)** إلى أن الأداء طريقة للاستخدام اللغوي وطريقة للكلام، فاللغة والأسلوب إلى جانب قدرة المؤدي ومهاراته، تشترك في تشكيل مختلف النصوص الشعبية، وأيضًا يمكن الاعتماد عليها لبيان دور المؤدي في صياغة مادته، وتقديمها بصورة تجعل الجماعة تنفعل به، وعلى أساسه يتم الحكم على نجاحه في أن يكون مؤديًا حقيقيًا يتميز عن أقرانه.**(باسكوم، ١٩٨٠: ٣٦٥)** "فالجميع يمكنه أن يسرد حكايات مما سمعه، غير أن هناك أفراد يتمتعون بمميزات خاصة". **(بورايو، ١٩٨٦: ٣٤)** "إذاً فالراوي ليس هو من يبدع أجمل الحكايات، ولكنه الشخص الذي ينجح في إيصالها للمتلقي".**(مهنا، ١٩٩٧: ٢١)**

والحكي هو سرد لحدث حقيقي أو خيالي، يقوم بعرضه فرد أو أكثر من الرواة، لواحد أو أكثر من المروي لهم، وقد تُقدم هذه الحكايات بطريقة شفاهية أو بطريقة لفظية أو مكتوبة، مثل السير والروايات والقصص، أو تتطلب أشكال فنية كالتمثيل أو الإيماء. ومواضيعه تتنوع ما بين التاريخي والسير الشعبية والأغاني الشعبية، والأساطير والملاحم والقصص الخرافية، والسارد هو

الشخص الذي يعتمد عليه كل الاعتماد في الحكاية الشعبية، كما له كامل الفضل في إضافة الرونق والجمال للحكاية، وكلما أبدع السارد كلما اكتسب جمهورًا ضخمًا.**(الحميداني، ١٩٩١: ١٣)**

(ج): الحكاية الشعبية:

الحكي الشعبي مصطلح مرتبط بالحكاية، ومن يقوم بالحكي يسمونه الراوي أو الحكواتي، وربما يكون الحكي هو ما يميز الإنسان أكثر من أي نوع آخر من الكلام، فالحكاية الشعبية أو المقول السردي، يعدان أول نص أدبي يتلقاه الصغار، ليس قصد المتعة والإثارة فحسب، بل وكمدخل لثقافة العشيرة ووسيلة لولوج دائرة معارفها.**(التازي، ٢٠٠٥: ٩)** وتعرف الحكاية بأنها (حكى بمعنى قَلَّد وشابَه، وفي لسان العرب لابن منظور (حكيت فلانًا، بمعنى فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله)، ثم حدث تطور في دلالة هذه الكلمة، فأصبح فعل "حكى" يحمل معنى روى وقَص، وصارت الحكاية تعني قصة ورواية وسيرة، وهذا المعنى لا يوجد في اللسان وغيره من المعاجم العربية.**(بنشريفه، ٢٠٠٩: ٣١-٣٢)** والحكاية الشعبية لها معنى فضفاض، بمعنى أنه يستوعب الكثير من السرد القصصي الذي توارثته الأجيال.**(يونس، ١٩٨٥: ١١)**

(د): حلقة الحكي:

تعرف الحلقة لغةً بأنها شكل دائري هندسي، وتحلق الناس بمعنى جلسوا في حلقات. وقد يلتف الناس حول إنسان أو حادثة على شكل حلقة على سبيل الفضول، ففي اللسان الدارج يقال: داروا عليهم حَلْقة بمعنى اجتمعوا حولهم من باب الفضول والاستطلاع. ويقال حلقة الخطابة وحلقة الإفتاء وحلقة العلم، وفي الإسلام تتشكل الحلقة، ففي هذه الثقافة كانت الجماعة تتحلق وتجتمع في مكان واحد، ويكون نصيب الخروج عن هذه الحلقة العزل والاقصاء.**(متز، ١٩٥٧: ٧٨)**. وقد بدأت مرويات العامة تنفتح على فضاءات أخرى بعيدًا عن فضاء المنادمة الذي يذكرنا بشهرزاد وشهريار وحديث الألف ليلة وليلة، ففي الحلقة يقف الناس أو يجلسون وفي وسطهم يقف الراوي، فيقوم بالسرد والتمثيل والتشخيص والإيماء بالجسد وغيرها من أشكال الأداء.**(الجاحظ، ١٩١٤: ٣٢)**، وتعد الحلقة مسرح شفاهي صغير ومتنقل، وهى تقام في فضاء كبير وبشكل دائري، فتجتمع جميع الشرائح الاجتماعية، في الساحة التي يقدم فيها الراوي حلقته، ليشكل نوع

من الفرجة الاجتماعية التي يشارك فيها جمهور المتحلقين، ليس بينهم وبينه أية فواصل، فيصبحون بدورهم مساهمين في بناء العرض الفرجوي.(فقير، ٢٠١٣: ٤٥)

الإطار المنهجي:

استخدم الباحث في دراسته النظريات المفسرة للتغير الثقافي مثل الإنتشار الثقافي والتفاعل الثقافي، ونظرية الثقافة الشعبية، كما استعان ببعض المناهج ومنها المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي والمقارن والأنثروبولوجي، واستعان بالكثير من أدوات البحث ومنها الملاحظة والملاحظة بالمشاركة والمقابلات الميدانية ودليل العمل الميداني والتصوير.

أولاً: نبذة تاريخية عن ساحة جامع الفنا بمراكش

تقع ساحة جامع الفنا في مدينة مراكش بالمملكة المغربية، وهى عبارة عن ساحة فضاء كبيرة تعقد فيها حلقات الفرجة والترفيه، ويقصدها أهل المغرب والسياح للفرجة والتسوق، وهى نقطة إلتقاء ما بين مراكش وبعض المدن القريبة منها، وقد تم إدراجها كتراث غير مادي إنساني، من قبل منظمة اليونيسكو في عام ٢٠٠١م.

(أ)-تاريخ الساحة

ويذكر الإخباريون أن تاريخ تأسيس ساحة جامع الفنا هو نفس تأريخ تأسيس مراكش، تقريبًا عام ١٠٧٠-١٠٧١م، فقد تم بناء الساحة في فترة حكم الدولة المرابطيّة بالقرن الخامس للهجرة، وكان الهدف من وجود الساحة أن تكون سوق لأهل المنطقة والوافدين، ثم زادت أهميتها من بعد تشييد جامع الكتبيّة. وأصبحت تستغل لاستعراض جيوش الدولة المرابطية، قبل خوضهم المعارك أثناء حروب الاستقلال وضم المناطق المجاورة لمدينة مراكش للدولة المرابطية، والساحة تعد رمزًا من رموز مراكش، يفتخر بها أهلها ويسعد بها كل من يأتي لزيارة المدينة. أو يمر بها أثناء سفره.

(ب)- سبب تسمية ساحة جامع الفنا

تتعدد الآراء حول سبب تسمية ساحة جامع الفنا، فالبعض يرجع كلمة الفنا للفناء بمعنى التخريب والدمار، والسبب في ذلك أن تاريخ الساحة يؤكد وجود بقايا مسجد متهدم كان في وسط الساحة، والبعض يعيد تسمية الساحة لأيام الدولة المرابطية وقد كانت الساحة وقتها فناء لمسجد يطل عليها، وتم التحريف اللغوي لكلمة الفناء بكسر الفاء وتعني الساحة إلى الفنا.**(مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٩: ٨)**. والبعض يرجع أصل التسمية لأيام المرابطين أيضًا، وخاصة في فترة حكم أحمد المنصور السعدي، والذي قام ببناء جامع يسمى الهناء، وكان قد شيده بشكل جميل، غير أنه مرض ومات قبل أن يكتمل بناء المسجد، فحزن الناس عليه وغيروا اسم المسجد من الهناء إلى الفناء، أي مسجد لم يكتمل بناءه. ووردت هذه القصة في كتاب تاريخ السودان للقاضي عبدالرحمن السعدي والذي ولد بمالي (١٥٩٦ – ١٦٥٥ م) والكتاب نشر بباريس في القرن السابع عشر الميلادي.**(السعدي، ١٩٨١: ٢٠٥)**. ويذكر الإخباريون أن الساحة كان ينفذ فيها أحكام الإعدام، والفنا هنا بمعنى الفناء أو الموت. وهناك رأي آخر جمع كل هذه المعاني وهو أنها ساحة تجمع الناس ليفنون. والناظر في الساحة الآن يجد أن الناس سرعان ما تجتمع وسرعان ما تتلاشى، وكأن هناك جمع وفناء لا ينتهيان، وكأن بها شيء سحري وغير مفهوم، فالناس تجتمع بدون قرار وتتلاشى بدون قرار. ويشير البعض أن تسمية (الفناء) بكسر الفاء أي (الساحة الواسعة) ولعلها تشير إلى الساحة الواسعة لمسجد الكتبية، والتي تستخدم لصلاة الجمعة في حال ازدحام المسجد.

(ج)-أهمية الساحة

وقد كانت هذه الساحة مصدر إشعاع للتراث الثقافي الشفاهي الذي توارثه المغاربة، واعتبارًا لذلك عمدت منظمة اليونسكو بمعية السلطات الوطنية المغربية إلى عقد اجتماع عام ١٩٩٧ حضره خبراء دوليون في موضوع الثقافة والتراث، أسفر عن ميلاد مفهوم "التراث الشفهي اللامادي" بديلًا لمفهوم "الثقافة التقليدية والشعبية" المنصوص عليه في توصية ١٩٨٩، ونتيجة لهذا اللقاء برز سنة ١٩٩٨ مشروع الإعلان عن روائع التراث الشفهي اللامادي للإنسانية، ومنذ سنة ٢٠٠١ صنفت ساحة جامع الفنا تراثًا شفهيًا من قبل منظمة اليونسكو التي اعتبرتها موروثًا من تراث

الإنسانية الشفهي اللامادي.**(سكونتي، ٢٠٠٦: ٧-١٠)** وكانت الفرجة تنطلق في ساحة جامع الفنا بداية من الساعات الأولى للصباح، بحلقات الحكواتيين والقصاصين والذين يستغلون فترة هدوء الساحة في الصباح، قبل أن تبدأ حلقات الغناء وتزدحم الساحة، وتستمر الفرجة في الساحة إلى ما بعد منتصف الليل، وكأنها عرس لا ينتهي.

ثانيًا: حلقات ساحة جامع الفنا بمراكش حتى عام ١٩٧٠م.

يذكر الإخباريون أن الساحة كانت تزخر قديمًا في فترات الإزدهار وخاصة قبل عام ١٩٧٠م، بتعدد حلقاتها ورجالاتها وأعلامها في التراث الشفاهي، إلى أن أصابها الركود في السبعينات، فكان الحلايقي يؤدي فنه بعفوية وتلقائية، تعد تشكيلاً جماليًا للثقافة الشفاهية التي تقدم إلى جمهور عريض من رواد الساحة، ومن المولعين بها، والمغرمين بإبداعات الحلايقية. وفي مدينة مراكش مثل شهير يقول: "**أن موت حكواتي يعادل حريق مكتبة**"، فالحكايات تراث شفاهي في عقول الحكواتية، وبموتهم تنتهي الحكايات في قبورهم. وقد رحل الكثير من الحكواتية والبعض تقاعد بلا معاش أو مورد مادي، لدرجة أن أحدهم كان يمسح الأحذية، والجمهور الذي كان ينصت إليهم إنصرف للتليفزيون.

فالثقافة الشفاهية وأصولها وجذورها، تعد هى الجامعة الشعبية لأولئك الذين تصدروا الحلقة الشعبية، وجمعوا في أدبياتهم بين الترفيه والتثقيف، فتلقى هؤلاء أدبياتهم من دروس بالمساجد، وبزوايا المتصوفة، ومن الجلسات التي كانت تقام بأحياء مراكش الشعبية، حتى أثرت أدبيات ساحة جامع الفنا في أدبيات جماعة الرحل، الذين كانوا لا يستقرون بالساحة، إنما يتجولون في ربوع المغرب وساحاتها العمومية مثل ساحة سيدي عبدالوهاب بوجدة، وساحة بوجلود بفاس، وساحة سيدي بوالذهب بأسفي، وساحة السور بمدينة تارودانت، والتي كانت تنافس ساحة جامع الفنا قديمًا.**(الملحوني، ٢٠١٥: ١٦٣-١٦٥)** ويذكر الإخباريون أن الساحة قديمًا وإلى سنوات قريبة، كانت عامرة بالحكواتية وحلقاتهم التي لا تتوقف ليل نهار، وفي السنوات القريبة الماضية وحتى عام ٢٠٠٠م، بدأت حلقات الحكي تتراجع وتقتصر على فترة الصباح فقط، وبعد ذلك اختفت الحلقات من الساحة تمامًا في عام ٢٠٠٥م.

(أ): أشهر أنشطة وحلقات الساحة القديمة

١- حلقة الحكواتي (طبيب الحشرات)

وهو شخص يسمى البشير أو (طبيب الحشرات) وهو يسخر من الأطباء، وكان له إبداع خاص في الخيال ليحكي لك عن أضخم الأشياء في العالم مثل أكبر سَلَطَة في العالم، ويضخم الأشياء بشكل كاريكاتيري، وتوصل بخياله لأشياء نراها الآن في أفلام الخيال العلمي، فيقول: "هناك مئات الحقول من الطماطم وجيش من الناس يقطعون الطماطم وهناك أفدنة من البصل يقطعونها، وهناك إناء ضخم على مساحة كيلو متر مربع"، وكان يداوي الحشرات متحديًا أطباء البشر. وكانت الحلقة عنده تتخذ شكل فصل دراسي، ويعتبر الجمهور هم التلاميذ، وكل مرة يطلب الإنضباط ويسجل الحضور والغياب ويطرح الأسئلة، ويبدأ حلقته بنشيد (يا إخوتي جاء المطر ...) ويسأل الجمهور ويختبرهم وكأنه معلم في فصل، وهو يقرن التعليم بالمتعة. ورغم لباسه الرث وبساطته وهيئته التي تنفر البعض.

٢- **حلقة الحكواتي (باقشيش):** لكل صاحب حلقة أسلوب في جمع حلقته، و(بقشيش) متميز في هذا المجال، فعندما يبدأ حلقته ولا يجد جمهور حوله، يقوم بالضرب على الطبل ويصرخ حتى ينبه الناس لوجوده ويلتفون حوله، وكان يكرر ذلك عدة مرات حتى تكتمل حلقته، وكان ينوع أشكال الأداء ويحرص على تحية السائحات بتحية خاصة جدًا ويأخذ صور معهن مقابل مبلغ من النقود، دون أن يكف غمز ولمز الحاضرين في حلقته وتذكيرهم بما فعل.

٣- **حلقة مول الحمام:** يذكر الإخباريون في مراكش أن هذا الرجل كان يرتب في حلقته علب مصفوفة، وكان عنده عشر حمامات، ومعه عصا طويلة يهش بها على كل حمامة فتقف فوق العلبة الخاصة بها، ثم يرتب حماماته ويسميها بأسمائها فتنضبط لأمره، وبعد ذلك يهش إحداهن على رأسها بلطف ويطلب منها بإسمها أن تأتيه بالمال من بنك المغرب المواجه لساحة جامع الفنا، فتطير الحمامة أمام أنظار الجمهور حتى تقف فوق بناية بنك المغرب تمكث خمس دقائق ثم تعود.

٤- حلقة الحكواتي الصاروخ

وهو رجل قوي البنية طويل القامة أصلع الرأس ولذلك لقبوه بالصاروخ، وكان نظيف جدًا وهندامه نظيف وأسنانه ناصعة البياض، وكان من حفظة القرآن، وكان يحكي حكايات عفوية من مواقف الحياة الاجتماعية ويحكي حكايات عن جحا، يغلب عليه طابع الجد والتحدي والقوة، وكان يتحدى الجمهور بقوته فيعطونه النقود، وكانت له عادة ليست عند باقي الحلايقية، فقد كان في نهاية الحلقة يضع النقود التي جمعها وسط الحلقة، ويبدأ في عَد رزقه أمام جميع الحاضرين، وتوفي عبد السلام الصاروخ عام ١٩٩٥. **(فخرالدين، ٢٠١١: ٥٠)**

٥- حلقة الحكواتي الفلكي امبارك الطيمومي

يعد امبارك ولد القايد الطايمومي: هو أشهر من أقام الحلقة في ساحة جامع الفنا، ولا زالت ذاكرة أهل مراكش تذكره رغم رحيله من سنوات، فهو شخصية محبوبة جدًا من رواد الحلقة في الساحة، وكان يعرف بكرمه وثقافته وعشقه لتراب المغرب والوطن بشكل عام، وكان يدافع عن الفقراء والطبقات المظلومة ضد الظالمين والفاسدين، وفي حلقته تجد التعاون والترابط الاجتماعي، والخدمات التي يقدمها للفقراء والمحتاجين الذين يتجولون في الحلقة، سواء متسولين أو مشردين أو أصحاب المهن البسيطة مثل السقى أو جامعي القمامة وغيرهم.

(ب)- قواعد الحلقة في الساحة

يجمع أصحاب الحلقة بمن في ذلك الرواة، أن أهم تلك القواعد قاعدة ذهبية تتكون من أربعة حروف هى:

١- **الجيم:** ويرمز للجبهة أي الجرأة.
٢- **الثاء:** وترمز إلى الثبات أي أن لا يسقط الحلايقي في الإستفزاز.
٣- **الميم:** وهذا الحرف يعني عند أصحاب الحلقة (المركة): وتعني الحكي بلا خجل وخاصة في حال عدم وجود نساء في الحلقة، فيقول الحكواتي لصاحبه أو العكس "نيكس المركة" بمعنى أن يحكي بحرية بدون خجل.
٤- **القاف:** ويرمز إلى "القباحة" أي الوقاحة.

وهذه الحروف هى قاموس أصحاب الحلقة من الرواة ومساعديهم، إضافة لذلك توجد عدة قواعد أخرى ومنها:

١- **اعتماد الحكي على مقدمة وعقدة**، يضع الراوي في كل حلقة لغز أو عقدة، وتظل هذه العقدة في الحلقات لفترة طويلة، ورواد الحلقة يأتون للحلقة كل يوم وينتظرون الراوي على أمل حل تلك العقدة، هكذا تظل الحكاية معقدة وبلا نهاية، وبعد أن تفقد الحكاية التي بها العقدة جاذبيتها ويقل جمهورها، يبدأ الراوي في حكاية أخرى بنفس الطريقة، ويتخلل الحكاية بعض المقاطع الفكاهية القصيرة أو المواعظ حتى لا يصيب الجمهور الملل، وبعد ذلك يواصل حكايته.

٢- **استعمال الخيال وتكييف الأحداث واللغة مع كل ما هو محلي.**

٣- **حلاوة اللسان**، باستعمال اللباقة كي يستدر كرم المتفرجين فيقول "يلا طردك البخيل، عند الكريم تبات" إشارة لهم كي يمنحونه المال ولا يكونوا بخلاء.

٤- **تحريك الجمهور وتوظيفه**، ويحدث ذلك عندما يبدأ في الدعاء في نهاية الحلقة، أو عندما يدعو لأحد أفراد الحلقة الذي أعطاه مال كثير، فيدعو الجمهور لرفع الأيادي بالدعاء وعدم خفضها وأن يرددوا (آمين)، فيقول "من يهز يديه، يهز الله علامو".**(جواهري، ٢٠٠١: ٢٣-٢٤)**

(ج): صفات فنان الحلقة

١- فنان الحلقة حامل لمعرفة مجتَمَعُه وخبير بها، يعرف كل شيء عن جمهوره، ما يضحكه وما يقلقه وما يؤثر فيه، يعرف كيف يجمع الناس حوله وكيف يفرقهم، وكيف يجعلهم يمضون وقت طويل أمام حلقته. فيعتمد على المباشرة والعفوية في التواصل مع جمهوره، وعلى التشويق والإثارة والإبهار ليمتلك على حواس المتلقي.

٢- فنان الحلقة مبدع متعدد المواهب، يتقن عددًا من فنون القول والمرح والإرتجال، مثل المسرح والشعر والكوميديا والحكايات، يحفظ الأمثال الشعبية والألغاز والحكم والنوادر والنكت، فأحيانًا يغني وأحيانًا يرقص وأحيانًا يعزف الموسيقى، وهذه التنويعة الفنية تجعل الجمهور لا يمل من حلقته.

٣- يعتبر فنان الحلقة رجل مسرح بامتياز، فيقوم بتشخيص المواقف المختلفة ويقدم المشاهد الهزلية واقعية أو متخيلة، ويقوم بمحاكاة الواقع وتقديم نماذج منه، ويقدم مشاهد حوارية جميلة، للجمهور الذي عشق المسرح المفتوح في الهواء الطلق، مسرح اختياري ومجاني دون تذاكر، سوى ما يجودون به على الحلايقية بكامل إرادتهم.

٤- يتقن فنان الحلقة فن التواصل مع الجمهور، فهو يعلم همومهم واهتماماتهم، ويعقد حلقته في مكان خاص في الساحة قريب من محبي الفرجة والحكي، وهو دائمًا يحاول تنظيم الحلقة والحفاظ على زيادة الجمهور لأكبر وقت ممكن في اليوم.

٥- فنان الحلقة يمرر القيم إلى جمهوره، وينتقد بعض العادات والمظاهر ويكرس لأخرى، وينصح المتفرجين بالصفات الطيبة مثل الكرم والاعتبار بالموت، والكثير من القيم الإيجابية.

٦- ينجح فنان الحلقة في عقد المقارنات بين الحسن والسيء، ويرصد التغيرات التي تحدث كل يوم في المجتمع بطريقة مميزة، فيعقد مقارنة بين ما كان قديمًا والواقع الآن وبين عادات أهل البادية وعادات أهل المدينة، بطريقة فيها الكثير من الهزل والضحك.

٧- فنان الحلقة من خلال تكرار حلقته والإستجابة للجمهور، تصبح حلقته كتابًا به جميع عناصر التراث، فيتخلل حلقته بعض الأمثال الاستشهادية، والحكايات والألغاز والزجل أحيانًا، وهذا كله يضاف لدوره في الحفاظ على التراث الشفاهي والعادات والتقاليد، ويحمي الحياة الاجتماعية من الإنحرافات والمشاكل النفسية.**(فخر الدين، ٢٠١١،: ٤٧-٤٨)**

(د): مؤهلات الرواة القدامى

كان رجال حلقة الحكي بساحة جامع الفنا في العشرينات والثلاثينيات من القرن الماضي، مؤهلون بشكل كبير لهذا الدور وهذه الرسالة، وقد حصلوا على معارفهم وثقافتهم من عدة مصادر منها:

١- ما كان يأخذه (لحلايقي) من دروس العلماء والفقهاء، من موضوعات ثقافية وفنية تتنوع في مضامينها بتنوع حاجات المقبلين على هذه الدروس، وأخذت تلك الدروس منحى من التوعية واستنهاض الهمم، ولم تقتصر تلك الدروس على المساجد، بل أضحت منابر التوجيه والإرشاد في كل محفل وفي كل مناسبة.

٢- الإستفادة من الحركة الصوفية التي عرفتها مراكش، وبخاصة في عهد السلطان العلوي/ سيدي محمد بن عبدالله، الذي ميز الساحة بغرس البذور الأولى التي أينعت فيما بعد، وقد نشطت بعض زوايا المتصوفة وأدت بعض أدوارها في تأهيل المريدين، ومن بينهم رجال الحلقة بساحة جامع الفنا، إلا فئة منهم وهم المتكسبين.

٣- ما كان يتلقاه (لحلايقي) من رجال الحركة الوطنية بمراكش، مما أهله ليكون واعيًا بدوره مع جمهور الساحة، مستخدمًا شتى الحيل للوصول إلى عقولهم ومشاعرهم، بواسطة ما كان يقدمه من روائع فيها ما فيها من التوجيهات والإرشادات، بالتلميح تارة والتصريح تارة أخرى.**(الملحوني، ٢٠١٥: ٢١٠-٢١١)**

وهذه المصادر جعلت رجال الحلقة يؤدون وظيفتهم الإبداعية بحرفية، كما أنهم صاروا مؤهلين للإنتقال من وضع إلى آخر حسب ما تمليه الظروف الاجتماعية والأحداث من حولهم، ففي أيام السلم والرخاء يكون دور (لحلايقي) تقديم الفرجة والتسلية، وفي أوقات الشدة وظروف الإحتلال، يكون دوره تقديم الرسالة الوطنية واستنهاض الهمم للتخلص من الهوان والذل، ولم تنتقص تلك الأدوار من ضروب الفرجة التي هى الأساس، ولكنه كان يمرر أدواره من خلالها. ولم يكن المال في وقت الشدائد هو مراده المنشود ومبتغاه المقصود، وإنما كان حضوره للساحة يحركه الوازع الوطني أولاً ثم التكسب من مهنته ثانيًا.**(الملحوني، ٢٠١٥: ٢٢٢-٢٢٣)**

(هـ) مقابل الحكي

كان المتحلقون يعطون المال في وسط الحكاية، فلكي يعطي الناس المال لا بد أن يكون في مرحلة التشويق، فيقوم الحكواتي بجمع المال (البركة) ثم يكمل الحكاية، فإن لم يعطي الجمهور البركة يتوقف الحكواتي على وعد أن يكمل في الغد، وغالبًا كانوا يعطون المال في نهاية الحكاية. وكان الحكواتي قبل أن يأخذ المال من الجمهور، يقوم بتقبيل كفه ليتلقى المال (البركة) كما يسميه الحكواتية.**(فخر الدين، ٢٠١١: ٥٤)** ويذكر الإخباريون أنه بعد أن امتنع الناس عن منح المال وتراجعت الحلقة، كان اليونسكو يرسل صندوق عبارة عن مائتي ألف ريال كل شهر لكل الحكواتية، ويقسم عليهم مثل: باريز وعبدالرحيم العياشي وأبوشامة والجابري ومحمد أحمد التمعيشه، وأوجبير محمد ومولاي أحمد الفاطمي. وكان المتلقي قديمًا يعتبر المال هو مقابل

للحكي، وكأنه يدفع تذكرة في السينما أو المسرح، رغم أن المال لم يكن فرض على المتلقي، أما الآن فصار المتلقي يعطي صاحب الحلقة على سبيل الدعم الإنساني ويعتبره متسول.

(و): أدوات الحكواتي

توجد بعض الأدوات التي تساعد الحكواتي أثناء تقديمه للحلقة في الساحة، وهى أدوات تميزه عن أشكال الحلقات الأخرى بالساحة، ولكل أداة منها وظيفة خاصة يقصدها الحكواتي، وتفيده أثناء الحلقة، ومن هذه الأدوات: **الزربية:** يضع بها الكتاب والمحبرة، وهى مصنوعة من الصوف مثل حافظة أو شنطة. و**الكتاب:** كي يثبت للجمهور أنه يحكي قصص موثقة.، و**الكرسي:** الذي يجلس عليه الحكواتية وخاصةً كبار السن منهم. ويذكر الحكواتي محمد الصغير أنهم كانوا لا يستعينون بأي طبول ويتكلمون شفاهة، ولا يوجد أحد معهم يقلد الحكاية، ولا يستعمل أي أدوات سوى أداء الحكواتي وحركاته، والبعض كان يستخدم أداة نفخ للإعلان عن حلقته وجمع الجمهور. وأكتر الحكايات التي كان يحبها الناس، هى حكايات (الغزوات – الموعظة – قصص الأنبياء – ألف ليلة وليلة – الخيال). أو من كُتَّاب القصص في المغرب. والحكواتي كان لا يستخدم أي آلات في الحكي، إلا ثلاثة كانوا يضربون الطبل مثل المسحراتي، فيأتي الناس إليهم وكان الطبل للإعلان فقط عن الحلقة، وبعدها يتوقف ليستمع الناس للحكي.

ثالثاً: أهم الأنشطة والحلقات في ساحة جامع الفنا في الوقت الحالي

رصد الباحث أثناء دراسته الميدانية لساحة جامع الفنا عدة أنشطة وحلقات، غير أنه لم يقم برصد أية حلقات للحكي، وأكد الرواة الذين قابلهم الباحث أنهم متواجدون ولكن بدون حلقة، فقد توقف الحكي في الساحة منذ سنوات عديدة، وأهم الحلقات التي رصدها الباحث هي:

١- حلقة ترويض الأفاعي (العيساوه)

٢- نقش الحناء

٣- الطب الشعبي (العَشَّابة)

٤- قراءة الطالع

٥- حلقة صيد الزجاجات

٦- ترويض القرود.

٧- حلقة الأكروبات

٨- حلقات الموسيقى والغناء

٩- حلقة التمثيل الساخر (أولاد لحمر) – حلقة لمسيح

رابعًا: الأسباب التي أسهمت في إختفاء حلقة الحكي بساحة جامع الفنا

يحظى حقل التراث الثقافي اللامادي باهتمام المختصين، إلا أن الأدب الشفاهي قد عرف تراجعًا نسبيًا، بسبب غزو وسائل الإعلام الحديثة. **(بدون مؤلف، ٢٠٠٩: ١٥-١٦)** ومع توالي الأيام والسنين أخذ دور رجل الحلقة يتضاءل، ويقل مفعوله، وصارت حلقات الحكي تزاحمها أشكال فنية وأجناس أدبية أخرى رخيصة، لا تسمن ولا تغني من جوع، بعد أن كان الحلايقي قديمًا يجمع بين الترفيه والتثقيف.**(الملحوني، ٢٠١٥: ١١٠)**. وبالرغم من أن الحلقات الآن زادت في الساحة وكأن البشر يولدون من الساحة، وبالرغم من ذلك فهم يأتون ولا يجدون شيء من الحكي، ولا يغذون خيالهم بأي شيء، وقديمًا كانت الفرجة والمتعة، وجميع فصائل المغرب كانت ممثلة في الحلقة (الصوفية والصحراويين الأمازيغي والعروبي) فكانت هناك مجموعة من الألعاب الأكروباتية والبلهوانية وألعاب القمار.

ويذكر الإخباريون أن الحكواتية إنتهوا، لأن الساحة لم تصبح كما كانت، كما أن الحكواتية كانوا قليلين وليس لهم تلاميذ، فيما عدا الجيل الحالي مثل (مصطفى الحنش)، و(حجيبة) ابنة (عبدالرحيم الأزلية)، وفي السبعينات كانوا كثر حوالي خمس حلقات، كان لهم جمهور يأتي بشكل يومي ليكمل الحكاية، ويعطيهم دراهم بركة، أما الآن فتراجعت الحلقة بسبب الضجيج وعدم وجود مكان للحكواتي، كما لا يوجد مقابل مادي مجزي.

ومن أهم الأسباب التي أدت لاختفاء حلقة الحكي في ساحة جامع الفنا:

(أ): غياب التلقين.

فلم يكن الحكواتية مهتمون بنقل خبراتهم للآخرين، ولم يكن لهم تلاميذ. ورواد الحكاية حينما عجزوا عن الخروج للساحة لم يخلفوا من يكون بديلًا عنهم. والسبب في ذلك هو ضعف المقابل

المادي لهذه المهنة، الأمر الذي يعجز معه الرواة عن تدريب تلاميذ لهم، لعدم مقدرتهم على دفع مقابل مادي نظير هذا العمل. ومنذ إعلان ساحة جامع الفناء تراث لا مادي من طرف اليونسكو، بدأت الجهات الإدارية في المنطقة التابعة لها الساحة، بالتواصل مع شيوخ الحلقة وذلك لمحاولة دعم الرواة ببعض المنح والمساعدات، غير أن الفكرة ظلت مشروعًا يراود صانعي الفرجة من الحلايقية، وخاصة الشباب الذين إنضموا لفن الحلقة، ويواجهون متطلبات العيش والحياة بصعوبة، وما آل إليه أمر الحلقة سرب الخوف لنفوسهم وإبداعهم، فمصير الحلايقية ومستقبلهم مجهول، وكم من مبدعين انسحبوا من هذه الساحة لقلة الدخل الذي يوفر لهم حياة كريمة ويحافظ على استمرارهم واستمرار حلقاتهم وما يقدمون بها من فن وإبداع وتراث.

(ب): التحول الاقتصادي في مجال االعيش.

فلم يعد الحكواتي قادر على ضمان عيش كريم في ظل الغلاء والنمو الديموغرافي، فكانت مراكش يعيش فيها الفقير والغني دون فواصل، ومع التحول ظهرت الفوارق بين الفقير والغني، ففكر الحكواتية في وجود دخل آخر، واليونسكو عندما تم تسجيل الساحة، أُنشئت جمعيات كثيرة أضعفت بعضها البعض حتى تلاشت جميعًا، وظهرت الجمعيات لأنهم اعتقدوا أن هناك دعم مادي يأتي من اليونسكو، فتصارعوا وكونوا جمعيات كثيرة طمعًا في المال، وعندما لم يكن شيئ تلاشت كل تلك الجمعيات ولم يتبقى سوى الصراع بين الأفراد والجمعيات.

فصناع الفرجة بالساحة لا يقدم لهم أي دعم مادي من أي جهة، سوى مساعدات من المجلس الجماعي لمراكش سابقًا، وهى مساعدات ترتبط بعيد الأضحى مثل لحوم الأضاحي وأحيانًا تدعمهم بمبلغ مالي ٧٠٠ درهم في كل شهر، غير أن هذه المساعدات سرعان ما توقفت وتركت الحلايقية بدون دعم. وحتى السائحون الذين كانوا يجودون على الحلايقية، تناقص عددهم، والقليل منهم من يعطي مقابل للفرجة.

(ج): لم يكن هناك تنويع في الحكي يساير التغيرات النوعية التي تجري في العالم.

فعدم التجديد في الحكي ومسايرة القضايا الجديدة والحالية التي تهم الناس، وكذلك عدم التجديد في أسلوب الحكواتي خلق الملل، وكان له أثر في اختلال أمر الساحة من هذا الجانب الفني

الإبداعي. وأدى لانصراف الجمهور عن حلقات الحكي وتجمعه حول حلقات الرقص والغناء والحواة والقرود بغرض التسلية.

(د): التغيرات التكنولوجية لم تؤثر على فنون الساحة.

والدليل أن الناس تهرب من التكنولوجيا لتأتي هنا لتستمتع بفنون الساحة المتنوعة، فالأجانب هنا يأتون أكثر من المغاربة، وكأن الساحة تذكرهم بالقرون الوسطى، فيأتون هنا بدون وجود آثار أو شواطئ يسبحون فيها، ولكنهم يعتبرون الساحة هى شاطئ مراكش.

وبالرغم من أنك لا تعرف أحد في الساحة، لا تشعر بالغربة وتشعر داخلها بالأمان، وهنا تشعر بأنك سيد المكان وكأنك ممثل على خشبة كبيرة، ويرتاد الساحة ممثلين ولاعبي كرة كبار يجلسون فيها وفي المقاهي المحيطة بها، فالساحة فيها كل شئ بدون إعلان.

(هـ): ضوضاء حلقات الساحة

ومن أهم أسباب تراجع الحكي في الساحة، هو تعدد حلقات الغناء والرقص والأكروبات وترويض الأفاعي والقرود ومحلات العصير والطعام، والتي تجذب الجمهور أكثر من الحكي، كما أنها تقام طوال اليوم، مما أثر على حلقات الحكي التي تحتاج لهدوء، لأن الحكواتي لا يستعمل أي أجهزة أو مكبرات صوت أثناء الحكي، والضوضاء التي حوله تمنعه من ممارسة مهنته.

(و): انتشار محلات العصير والطعام بالساحة

المتأمل في الساحة الآن يجد أن خيام وعربات العصير، قد أخذت حيزًا يزيد عن مساحة حلقات الساحة، وخاصة في فصل الصيف الذي يكثر فيه زوار الساحة، كما أن خيام الطعام أثرت على الدور الاجتماعي للساحة.

فالطعام في الماضي كان مختلف عن الآن، فعندما كانت تفرغ الساحة كان أصحاب المحال ينادون على كل من في الساحة، لتناول الطعام مجانًا، فكل من قصد مراكش مدينة السبع رجال لا ينبغي أن يبيت جائعًا، وكان رجل صاحب مطعم يسمى **(با محمد الشاوي)**، كان الناس ينتظرون حضوره ومن بينهم فقراء ومساكين، فيطعم أولاً الفقراء والمساكين، ويقول للزبائن الذين

يشترن منه بالمال "صاحب الدراهم ينتظر"، وهذا الرجل كان كريم لدرجة أنه كان يترك في نهاية يوم العمل، طبق كبير أمام مطعمه مليء بالأسماك المشوية، يأكل منه جميع زوار الساحة من الفقراء .**(فخر الدين، ٢٠١١: ٥٦)**

(ز): انتشار بائعو الأعشاب "العشابة".

يوجد في الساحة الآن العشرات من بائعي الأعشاب، والذين احتلوا أماكن كثيرة في الساحة، وفي الماضي كان لا يعمل بهذه المهنة سوى المتخصصين، أما الآن فالكثير يعمل بها دون دراية بأصول المهنة. ويرجع السبب في احتلال بائعوا الأعشاب للساحة، كما يروي رواد الساحة، إلى قلة حلقات الحكي وجمهورها، ولكثرة رواد الساحة الذين يقبلون على شراء تلك الأعشاب لرخص ثمنها مقارنة بما يباع في المحال التجارية.

(ح): ضعف الترويج الاعلامي لرواة الحلقة

العديد من رموز ساحة جامع الفنا الذين كانوا نجوم الفرجة، انتهى بهم الأمر إلى النسيان والإهمال، فلم يعد يتذكرهم أحد سوى بعض زملائهم في الحلقة، بالرغم من دورهم وتجاربهم وتاريخهم في الحفاظ على تراث الحلقة والتراث المغربي والعربي، والذي يعد نموذجًا لكل مهتم بالتراث، كما أن مجموعة من الحلايقية يعانون من الفقر الشديد والكثير منهم كبار السن، والكثير من هؤلاء تقاعدوا عن العمل بسبب المرض، وبعضهم فارق الحياة من الإهمال والنسيان. فقد كان البعض ينظر لهم نظرة دونية وأن ما يقدمونه هو تردي في الذوق والحس الفني، وبالرغم من أن البعض الآن يعترف بهم ككنوز بشرية، إلا أن ذلك لم يساهم في عودة الحكي للساحة كالسابق. ولم يضمن للرواة عيشة كريمة أثناء مرضهم أو شيخوختهم.

خامساً: نتائج البحث

تعد مراكش من المدن الكبيرة في المغرب وإفريقيا، ولها تاريخ طويل وعريق، وهى مقصد سياحي للعديد من الزوار من مختلف دول العالم، كما أنها مدينة الثقافة والفنون، ويقام بها العديد من المهرجانات ومن أهمها مهرجان مراكش السينمائي الدولي. الأمر الذي ساهم في إنجاز هذا البحث في تلك المنطقة، والتي تنفتح على كل الثقافات، ويدخل لها العديد من الزوار من مختلف الجنسيات. وكان مقصدنا في تلك الرحلة هى ساحة جامع الفنا، والتي كانت فيما مضى تشتهر بحلقات الحكي وبالرواة الرواد، ومن خلال البحث الميداني في مراكش وفي ساحة جامع الفنا تبين لنا الآتي:

- تزخر مراكش بتاريخ عريق عماده الثقافة والفن من قديم الزمان، مما جعلها هدف للباحثين عن الثقافة والفن والمتعة من جميع دول العالم.
- مراكش مدينة منفتحة على العالم وكذلك أهلها، الذين يرحبون بكل وافد إليهم.
- الثقافة والفن هما مصدر من مصادر الدخل لأهل مراكش العاملين في هذا المجال.
- ساحة جامع الفنا من أهم ساحات المغرب ومراكش في تصدير الفن والثقافة، ولا تزال تحتفظ برونقها وقيمتها بين الساحات المنتشرة بالمغرب والدول العربية.
- حلقات الحكي الشعبي كانت أهم الحلقات في ساحة جامع الفنا، وكانت تربي الحكواتية وتخرج كل عام العشرات منهم.
- تنوعت أشكال الحكي في الساحة قديمًا وتنوع الحكواتية وأدوارهم، من مناهضة للمحتل وتعليم للنشء وتربية لأفراد المجتمع، والحفاظ على العادات والتقاليد.
- لفتت الساحة أنظار الكثيرين، مما جعلهم يسعون لإدراجها تراث شفاهي في منظمة اليونسكو. وقد كان لهم ذلك، غير أن الرواة لم يفدهم ذلك في شيء على المستوى المادي.
- كتب الكثيرون عن مراكش وعن ساحة جامع الفنا وحلقاتها، مما يؤكد أهميتها ودورها التنويري.
- تنوعت الحلقات في الساحة إلى جانب حلقات الحكي، والتي كانت هى أساس الحلقة بالساحة.
- مع التغير الثقافي والتكنولوجي والاقتصادي بالمغرب، تأثرت الساحة والحلقات بها، الأمر الذي أدى لتراجع حلقات الحكي على حساب الحلقات الأخرى، من غناء ورقص وموسيقى وأعشاب وترويض الحيوانات وقراءة الكف والفكاهة.

- تراجع المقابل المادي للرواة كان له أثر على تراجع حلقات الحكي.
- تراجع دور الدولة والمؤسسات الثقافية في دعم الرواة ماديًا ومعنويًا، أدى لتراجع واختفاء حلقات الحكي. وعدم وجود مؤسسة أو نقابة تمثل الرواة، كان له دور في إحجامهم عن الحكي في الساحة.
- الجمهور في الساحة لا يزال متعطش لحلقات الحكي، غير أن تراجع الرواة وعدم وجود تنظيم لتلك الحلقات وكثرة الضوضاء كان سببًا في اختفائها.
- تسجيل الساحة في اليونسكو لم يؤثر بشكل إيجابي على رواة الحلقة، لعدم وصول الدعم لمستحقيه وهم الرواة.
- لا توجد حلقات حكي الآن بالساحة، بسبب الضوضاء وانتشار محلات العصائر والمطاعم داخل فضاء الساحة. كما لا توجد ساحات أخرى بمراكش سوى جامع الفنا.

المراجع:

- أبوسعد، أحمد. قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية معجم لهجي تأصيلي فولكلوري. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧.
- استيتة، دلال ملحس. التغير الاجتماعي والثقافي. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.
- الأعصر، عبدالله، أيمن إبراهيم. توظيف الراوي في المسرح السواحيلي. ع ٨، مجلد ٢، القاهرة: مجلة آفاق إفريقية، ٢٠٠٢.
- باسكوم، وليام. الكتاب السنوي لعلم الاجتماع. عرض/ عبدالله لؤلؤ، إشراف/ محمد الجوهري، العدد ١، القاهرة: كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٠.
- بدون مؤلف. التراث الثقافي اللامادي وسيلة لمواجهة التعفنات المنقولة جنسيًا والسيدا "حكواتيو ساحة جامع الفنا بمراكش نموذجًا". الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ٢٠٠٩.
- بنشريفة، محمد. الحكاية الشعبية في التراث المغربي. المغرب: سلسلة الندوات، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ٢٠٠٥.
- بورايو، عبدالحميد. القصص الشعبي في منطقة بسكرة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦.
- التازي، عبدالهادي. الحكاية الشعبية في التراث المغربي. المغرب: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، ٢٠٠٥.
- الجاحظ. كتاب التاج في أخلاق الملوك. القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩١٤.
- جواهري، عبدالرفيع. جامع الفنا-الصورة وظلالها. الرباط: مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، ٢٠٠١.
- رشوان، حسن عبدالحميد. تطور النظم الاجتماعية وأثرها على الفرد. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٢.
- السعدي، عبدالرحمن. تاريخ السودان. باريس: طبعة باريس، ١٩٨١.
- سكونتي، أحمد، وداد تباع. ساحة جامع الفنا تراث ثقافي غير مادي لمدينة مراكش والمغرب والإنسانية. الرباط: المكتب المتعدد البلدان ليونسكو بالرباط، ٢٠٠٦.
- فخر الدين، محمد. معالم من التراث الثقافي لمدينة مراكش، المغرب: مطبوعات مركز التنمية لجهة تانسيفت، ممول من الإتحاد الأوروبي، ٢٠١١.
- فقير، موسى. جدلية المقدس والمدنس في الأشكال الفرجوية بالمغرب. البحرين: العدد٢١، مجلة الثقافة الشعبية، ٢٠١٣.
- لحميداني، حميد. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١.
- متز، آدم. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام. ترجمة/ محمد عبدالهادي أبوريدة، ج٢، القاهرة، لجنة التأليف، ١٩٥٧.
- الملحوني، عبدالرحمن. ذاكرة مراكش. ج٢، مراكش: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ٢٠١٥.
- مهنا، غراء. أدب الحكاية الشعبية. ط١، القاهرة: دار نوبار للطباعة، ١٩٩٧.
- يونس، عبدالحميد. الحكاية الشعبية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٨٥.

Herskovits,m. cultural anthropology: Indian press, Bombay,1969.